مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 01 السنة: 2020
ص: 520 - 539 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

انفتاح النّص الشعري على التّناص الدّيني
-قراءة في ديوان أبجدية المنفى والبندقية لابن الشاطئ-

The Openness of the Poetic Text to Religious Intertextuality: A Reading of the Diwan of "The ABCs of Exile and Venice" by Ibn Al-Shatie

[*] ط.د. **مديحة بشير الشريف**

Madiha Bachir Cherif

جامعة آكلي محند أولحاج البويرة (الجزائر)

مخبر دراسةنظرية وتطبيقية معمقة لتطبيق النظام التعليمي الجديد lmd في الجامعة الجزائرية بهدف تكوين أقطاب جامعية تنموية مندمجة

University of Bouira- Algeria

تاريخ الإرسال:2019/09/02	تاريخ القبول:2019/12/08	تاريخ النشر : 2020/03/15

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة التّناص الدّيني في شعر ابن الشاطئ، وبيان ما تملكه هذه الظاهرة من قدرة في توسيع فضاءات الدّلالة وتكثيفها في النّص الشّعري؛ إذ تجعله مفتوحا على القراءة والتّأويل بما توفره من تفعيل لدور المتلقّي والارتقاء به إلى مستوى المشاركة في تأثيث دلالات النّص. وقد ركّز هذا البحث على التّناص مع القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة لأنّهما الأكثر حضورا في الدّيوان المدروس "أبجدية المنفى والبندقية"، لما يمنحان النّص من قداسة، ودلالة مؤازرة بالتضمين والتلميح.

الكلمات المفتاح: التناص الدّيني، القرآن الكريم، الأحاديث النبوية، ابن الشاطئ، المتلقي.

Abstract :

This research aims at studying the phenomenon of religious intertextuality in the poetry of "Ibn Al-Shatie", and demonstrating the ability that this phenomenon shows in intensifying the significance and extending its spheres in poetic texts.Then, it makes the text interpretable because it activates the role of the receiver and raises him to the level of participation in decorating the meaning of the poem.

This research has focused on the intertextuality with the holy Qur'an and Hadith because they are the most present in the Diwan under study: "*Diwan abjadiat el manfa wa el boundukia*" "Diwan of the ABCs of Exile and

[*] مديحة بشير الشريف madihaacharif@gmail.com

Venice", in view of the holiness they give to the text besides the supporting significance of inclusion and hint.
Keywords: Religious Intertexuality, Holy Qur'an, Prophet's Hadith, Ibn Shatie, Recipient.

تمهيد:

تميزت الكتابة الشعرية المعاصرة بالميل إلى التّناص والترميز والتكثيف تماشيا مع روح/ملابسات العصر، ولأنّ الشاعر لا يمكنه الخروج عن واقعه فهو يستمد ويستدعي الراهن في تجربته الشعرية عبر الانفتاح على العوالم الإبداعية المتعددة، وبفضل التّفاعل والتّداخل أصبح الشاعر فاعلا ومشاركا في أحداث بلاده ناقلا الهم الفلسطيني بآلية التّناص. يعدّ التناص الدّيني من بين أهم المصادر الّتي يتكئ عليها الشاعر لاستنهاض واقعه، بما يملكه من خصوصية ومصداقيَّة تساهم في خلق فضاءات دلالية جديدة، تعمق الشعر وتجعله مفتوحا على التّأويل، وما يحدث في فلسطين دعا ابن الشاطئ لتسخير قلمه ليبث من خلاله آماله وآلامه ورؤاه تجاه قضايا شائكة يصعب الحديث عنها مباشرة ودون أي قناع فاستعان بآلية التناص لبلوغ مراميه.

لقد أصبح التّناص يشكل ظاهرة جلية لا مناص منها في الشعر المعاصر، ولا يستطيع الشّاعر تجاوزه–التّناص– فهو كما عبر عنه محمد مفتاح "بمثابة الهواء والماء والمكان للإنسان، فلا حياة له بدونهما ولا عيشة له خارجهما"[1] فانطلاقا من أنّ الشاعر يعيش أزمنة متعددة لا يمكن حصرها ولا يمكن الإحاطة بها فهو حاضر في كل الحقب التّاريخية بفضل قراءته المتجاوزة للزمن الّذي يعيش فيه، فعن طريق ترحاله بين الكتب التّاريخية والدّينية والثقافية في مختلف العصور يخزن في ذاكرته معارف لا تعدّ ولا تحصى، فنجده يتكئ عليها ليبوح من خلالها بما يختلج في صدره بمواراة ومراوغة لا يتفطن إليها إلاّ القارئ المحنك الّذي بلغ من الثقافة ما يتجاوز به النّص المقروء، فينتج من خلال هذا التفاعل قراءة واعية تعلن مقاصد الشاعر ونواياه المبيتة. ومن هنا يمكن أن نتتبع كيف جسد الشاعر هذا الاستدعاء في نصوصه وكيف تشربت نصوصه الشعرية التناص. وقد يتساءل المتلقي عن مدى حضور التّناص الدّيني وتفاعله مع الواقع.

1–مفهوم التناص:

لم تغب ظاهرة التناص (Intertextuality) عن النّقاد العرب القدامى فقد اقتربوا من مفهومها المعاصر، وإن تعذر عليهم الوصول إلى مصطلح شامل يلم بالظاهرة إذ تعددت المسميات عندهم-التضمين الاقتباس الأخذ، الانتحال، السرقة...- من ناقد إلى آخر كلٌ يفسرها حسب وعيه لها، ومن الباحثين المعاصرين نجد أحمد الزعبي الذي استند في تعريفه للمصطلح بما ورد في كتب النّقد العربي القديم من تسميات ومفاهيم فاعتبر أنّ "مفهوم التناص المعاصر قد تشعب وتعمق واتسع بحيث احتوى هذه المصطلحات القديمة وتجاوزها وأضاف عليها عناصر جديدة وموضوعات تناصية أخرى كثيرة"[2] فالمفهوم الجديد للتناص لا يمكنّه أن يتجاوز ما جاء به القدامى، فهو الأرضية الصلبة التّي يتكئ عليها الناقد للتأصيل للمصطلح الغربي في البيئة العربية هذا من جهة، وكذلك تعزيز أواصر تطور المصطلح من خلال تبنيه لمعارف ومشارب جديدة/معاصرة.

وإذا كان مفهوم التّناص ينطلق من فكرة تناسل النّصوص من بعضها البعض وهو ما يجعل "العمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة تماما مثل الكائن البشري، فهو لا يأتي من فراغ كما أنّه لا يفضي إلى فراغ، إنّه نتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث أدبي، وهو بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه"[3] فالنّصوص الأدبية الشعرية منها والنثرية تنشأ وتترعرع، وقد تنقرض تماما كالإنسان فهي-النصوص- تحيا بقراءة وتأويل القراء وتموت وتضمحل بغيابها عن الوسط الثقافي فكل حضور للنّص القديم أو المعاصر في نصوص جديدة يعتبر حياة جديدة تفتح أفقا تأويليا جديدا، كما أن قدرة النّص على امتصاص عدة نصوص وتشربها يجعل من كل نص بئرا تتجمع فيه العديد من الكتابات لتنصهر وتتجاور في نص جديد، فعلى حدّ تعبير الغذامي فإنّ النّص ابن النّص[4] يتكئ على ما سبقه استدعاءً أو استلهماً، ومنه يبني نصا يتقاطع مع الأصالة والمعاصرة دون أن يبوح-الشاعر- بهذا التّعالق.

ويعتبر التناص "علاقة حضور مشترك بين نصين وعدد من النّصوص بطريقة استحضارية eidetiquement وهي في أغلب الأحيان الحضور الفعلي لنص في نص آخر"[5] فانطلاقا من أنّ كل نص هو مجموعة من النّصوص الحاضرة شكلا أو مضمونا في نص جديد، عن طريق الاستحضار/الاستدعاء فيتفاعل مع المعاني والألفاظ الجديدة مشكلا بذلك إبداعا جديدا يلتقي مع عدة نصوص قديمة أو معاصرة.

وطبيعة العلائق بين النصوص فرضت وجود أشكال عديدة لهذا الحضور ولعلّ "أكثر أشكال هذه العلاقة وضوحا وحرفية هي الممارسة العادية للاقتباس Citation بين قوسين مع الإحالة أو عدم الإحالة إلى مرجع محدد، وإن أقلّ أشكالها وضوحًا وشرعية هي السرقة Plagiat، وهي افتراض غير معلن ولكنه حرفي"[6] فالشكل الأول يعبر عن الحضور الفعلي للنّص الأصلي السابق في النّص اللاحق ببنيته ومضمونه وبتصريح من الشاعر عن طريق الإحالة، أمّا الثاني وهو ما عرف بالسرقة في النقد العربي القديم، ومعلوم أنّ هذا المفهوم يحمل معاني الخفاء والاستتار في أخذ الشيء وكذلك عدم وضوح معالم المأخوذ، وقد تشرب المصطلح الجديد– التناص– من هذا المفهوم حتى أصبحا يصبان في مضمار واحد ويلتقيان في المجرى نفسه.

وما نتج عن التّناص من توليد للمعاني وتحوير لدلالة جعله ينفتح على التأويل والتلقي، فهو "عنصر مهم في تشيد الدينامية الدّلالية، لأنّه يفتح فضاء النّص على شبكة أسس وأنساق متعددة"[7] وهذا التّناص يضفي سمة التّفاعلية على النّص بما يحقق من توافق مع ما هو سائد من رؤى وأفكار العصر، وهو ما يضمن الانفتاح للنّص ويبعد عنه الانغلاق والتقوقع، فينفتح النّص على البعد التّأويلي بما يشكل من دعامة فكرية ولغوية تمدّ القارئ بأفكار النّص، فيستنطق هذا الأخير عوالمها الغامضة بما تَزود من أنساقٍ توافق رؤى زمن الكتابة.

2–مظاهر التّناص الدّيني:

إنّ الموروث الدّيني يعدّ من المصادر الأساسية للتّناص، إذ يستحضر الشاعر من خلاله بعض المعاني والقصص والرموز الدّينية، فيضمنها في سياق نصّه الشّعري إثراءً له وتعزيزاً للموضوع الّذي يتناوله، والتّناص الدّيني منه ما هو مباشر ومنه ما هو غير مباشر[8] يعتمد الأول على ذكر الألفاظ أو القصص أو الرموز مباشرة، أمّا الثاني فيمكن استنباطه من خلال السياق أو المعاني المبثوثة في القصيدة الّتي توحي بتعلقها مع المعنى القرآني.

أولا–التّناص القرآني؛ انفتاح شعر المقاومة على النّص الدّيني –الدّلالة والأبعاد–:

لكل أمة نص مقدس تفخر به وتجعله ميزانا للأخلاق الراقية، والأمّة الإسلامية كغيرها من الأمم بل هي أكثر الأمم تقديسا لنّص دينها، وقد اتخذته المجتمعات العربية والإسلامية دستور حياة، كيف لا وهو يحمل بين دفتيه تشريعا سماويا إلى أهل الأرض صالح لكل الأمم في كل زمان ومكان، ومن معاني "التّناص مع القرآن: التّفاعل مع مضامينه وأشكاله، تركيبيا ودلاليا، وتوظيفها

في النّصوص الأدبية بواسطة آلية من آليات شتى، ويعدّ هذا النّوع جزءا مما يسمى بالتفاعل مع التّراث الدّيني بأنماطه المتعددة"[9]وقد تأثر الشعراء بالقرآن الكريم مع بداية العصر الإسلامي والعصور الموالية له بطرق متنوعة ساهمت في بناء النّص الجديد، وكذلك في انفتاحه على الدّلالة والقراءة، ف" لم يكن القرآن رؤية أو قراءة جديدة للإنسان والعالم وحسب، وإنما كان أيضا كتابة جديدة"[10] فكان المعين الّذي لا ينضب حاملا في طياته تجارب الأمم السابقة واللاحقة ناقلا مطامح ومطامع الإنسان في التّجديد، فكان الملهم في الاستناد على تجارب السابقين لتجاوز الراهن. ولأنّ حاجة الشعراء إلى التّضمين والخفاء قد فرضت عليهم حضور الدّين كملاذ آمن لنقل واقع القضية الفلسطينية إلى الأمّة الإسلامية جمعاء، وحتّى لا يطال التّعذيب والسجن والنفي كلّ مفصح معلن عن آرائه وأفكاره.

ولما كان القرآن فضاءً واسعاً يحوي الكثير من الرموز والقصص الّتي توفر للشّاعر فرصة اقتناء الألفاظ والمعاني المركزة دون عناء "فللتّناص القرآني ثراؤه واتساعه، إذ يجد الشاعر فيه كل ما قد يحتاجه من رموز تعبر عما يريد من قضايا من غير حاجة إلى الشرح والتفصيل، فهو مادة راسخة في الذاكرة الجمعية لعامة المسلمين بكل ما يحويه من قصص وعبر، ناهيك عن الاقتصاد اللفظي والغنى الأسلوبي الذين يتميز بهما الخطاب القرآني"[11] فبما أنّ القرآن الكريم يحفظه المسلمون إما لفظاً وإما معنى فلا تخفى أية من آياته حتى عند عامة النّاس لانشغالهم به لعلو منزلته ولرفعة قدره، وهو ما جعل الشعراء ينهلون من معانيه ودلالته، كما أنّه يحتوي على العبر والرموز والقصص فينقل مقاصدهم في أبلغ صورة وأصدق تعبير. فالقرآن الكريم هو النّص السّامي الّذي يلجأ إليه الشعراء، فهو يفيض بالمعاني والألفاظ الجديدة والخالدة، وقد وظف ابن الشاطئ النّصوص القرآنية لأنّها من أهم المصادر التي ينهل منها، فيعبر بها عن ما يختلجه من حنين وشوق وآلام اتجاه وطنه، فيكسب هذا الحضور للنّص الشعري كثافة وقوة تعبيرية. وفيما يلي عرض لأهم نماذج التّناص القرآني في ديوان أبجدية المنفى والبندقية لابن الشاطئ.

1- دلالات الفتح والقضية الفلسطينية:

لقد وردت الكثير من القصائد في الدّيوان المدروس الّتي يتناص فيها الشاعر مع سورة الفتح تيمنا بالفتح القريب على القضية الفلسطينية فما يحدث للمسجد الأقصى يحتاج فتحا من الله يظهر به الحق وينصر عباده على أعداء البلاد والعباد. وإذ يستحضر ابن الشاطئ معاني سورة

الفتح في مواضع متعددة من الدّيوان فإنّه ينشد الالتفاف حول القضية تماما كما كان الالتفاف حول الرسول صل الله عليه وسلم من كل حدب وصوب بعد هدنة "الحديبية" التي نتج عنها هذا الفتح العظيم فالشاعر يستشرف متفائلا بالانتفاضة/المقاومة وما ينتج عنها من انتزاع للحرية. فيقول:

صَـــافِيَتُهَـــا مِنْ قَبْلُ..وانْفَطَمَتْ عَلى صَـــدْرِي..فَكَـــانَ الفَتْحُ خَيْرَ كِتَـــابِ[12]

وفي موضع آخر يقول:

وأَعَـــادَ التَّـــارِيْخُ فَتْحـــا مُبِيْنـــا وأَعَـاد الأَجْـــدَادُ فِـــي الأَحْفَـــادِ..!![13]

وفي موضع آخر:

(سَجِّـلْ أنَـا عَـرَبِـــيٌّ)فـــي تَطَلُّعِـــهِ (إنَّـــا فَتَحْنَـــا)..وفِـي أَعْمَـاقِهِ النُّقَـــبُ[14]

ويقول أيضا في قصيدة بعنوان "سورة الفتح ولظى الرّمل...؟"

مَا وقَفْنَـا عَلى الرَّصِيْـفِ..وتَـــدْرِي (سُورَةُ الفَتْـحِ)..كَيْفَ..كَيْفَ..تُجِيْبُ..[15]

وكذلك في موضع آخر يقول:

(إنَّا فَتَحْنَـــا) مِـنَ مَـــلاَمِحِهَـــا دَوْمـــا..وَمِـنْ أَجْفَـــانِهَـا عُمـــرُ..[16]

والشاعر في استدعائه للآية الكريمة (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيْناً)[17] نجده يقتبس منها لفظا ظاهرا مستعملا في بعض الأبيات علامات التنصيص التي تدل على الاقتباس الصريح والآية الكريمة (إنّا فتحنا) معناها "قضينا بفتح مكة، وغيرها في المستقبل عنوة بجهادك"[18] أمّا (فتحا مبينا) فتعني"بيناً ظاهراً"[19]، كما تناص باللّفظ الصريح مع السّورة كاملة بذكره (سورة الفتح) تَيَمُّنًا بالفتح العظيم للأقصى، وهو بهذا يعلن التحدي والإصرار وينتظر النّصر المكلل بتضافر الجهود العربية، فالمقاومة تحتاج الدّعم والمساندة للتحقيق الحرية وانتزاعها من يد الطغاة الصهاينة، وإذ نجد الشاعر يستبشر من خلال هذا الاقتباس بالأجداد وبالانتساب إلى العروبة فيذكر الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الّذي حرر القدس من مغتصبيه فكان فتحا عظيما لازلت تذكره أجيال العرب والعجم على سواء، والتاريخ حتما سيعيد الانتصار بيد الأحفاد، وتفتح القدس على أيديهم فتكون قبلة ومناراً للمسلمين كما كانت من قبل. وتوظيف الشاعر لهذه الآية زاد من بلاغة وتأكيد القصد الّذي يصبو إليه، وهو أخذ الحرية عنوة عن طريق الجهاد فهو السبيل الوحيد

إلى الانتصار، وقد أحدث هذا الاقتباس اللفظي المباشر جمالية للنّص الشعري كما كان أكثر إثراء وإيحاء.

2-الانفتاح على القصص القرآني:

2-1-حضور يوسف عند شعراء المقاومة:

حظيت قصة يوسف عليه السلام بمكانة عظيمة عند شعراء المقاومة وعلى رأسهم محمود درويش في قصيدته "أنا يوسف يا أبي" وكذلك سميح القاسم في ديوانه "مراثي سميح"، وقلم ابن الشاطئ من الأقلام التي لا تنفذ في وصف وتتبع مسارات المقاومة في الأرض المباركة، يسعى في كل قصيدة لعرض ظلم واستبداد الصهاينة، وخذلان وتواطؤ الإخوة العرب، وبما أنّ قصة يوسف -عليه السلام- غنية بأحداثها وتفصيلاتها عبر مسيرة حياته الطويلة بدءا من صباه، مرورا بسجنه، ووصولا إلى براءته ورفع مقامه، فإنّنا نجد الشاعر قد آثر أن يتناص مع معاناة يوسف – عليه السلام- مع زليخة زوجة عزيز مصر واتهامها له بهتانا وظلماً في عدّة مواضع من الدّيوان، يقول في قصيدته" على ..الهاتف...!؟"

كَـانتْ وكُنْتُ..علـى الهـوَاءِ والـرِّيـحُ تَصْهَـلُ في العـراءِ
ونَـوافِذِي تحتجُّ خلْـف الغَيْـمِ مِـنْ فُـرطِ البُكَـاءِ
وَأَصَابِعِـي العَطْشَـى تُغَـرْ..غِـرُنِـي ..وتطْلُـعُ مِنْ دِمَائِـي
مـاذا دهـانِـي عِنْدَمَـا
هَمَسَتْ: مَتَـى يَـدْنُـو لقَائِي..؟؟
أنـا مَـرْأةٌ أنثـى... وأُدْ.....ركُ ما يُجَسِّـدُهُ عَطَـائِـي
بِـالأَمْـسِ رَاوَدْتُ الأَنَـا وفَتَحْتُ أَبْـوَابَ اشْتِهَـائِـي
ورَكَضْـتُ خَلْـفَ ضَفَـائِـرِي والشَّـوْقُ يَـرْكُـضُ فِي رِدَائِـي
لَكِنَّنِـي أَلجَمْـتُ نَفْـ.....ـسِي..واتَّهَمْتُكَ فِي الخَفَـاء..!![20]

وقد وظف ابن الشاطئ هذا التّناص بطريقة فنية إبداعيّة ألبست القصيدة حلّة جديدة فالتمازج بين النّص الشعري والقصص القرآني أعطاه بعداً جمالياً، إذ استحضر الشاعر قصة يوسف -عليه السلام- لأنّها قصة مفعمة بالأحداث وتحمل دلالات إيحائية عميقة، فيوسف يمثل الشعب الفلسطيني الضعيف الّذي لا حول ولا قوة له وإسرائيل المحتل الغاشم في صورة زليخة

زوجة عزيز مصر صاحب السلطة والقرار، فيوسف الّذي تعرض للظلم والافتراء من طرف زوجة العزيز التي راودته عن نفسه ثم اتهمته بالباطل فآل مآله للسجن، فحاله هذه ليست ببعيدة عن اغتصاب الأرض وتدنيسها من طرف الصهاينة، فهم يصولون ويجولون فيها بكل حرية ويقمعون ويقتلون ويصدرون الأوامر والنواهي، بيدهم السلطة والقوة، ومع ذلك يعملون في الخفاء كامرأة تخشى من عيون ترمقها وهي ترتكب الفاحشة، فالقارئ لهذه الأبيات يمكنّه أن يعي مكر وخداع ومراوغة المحتل على لسان زليخة.

والقارئ لديوان "أبجدية المنفى والبندقية" يجدّ أنّ الشاعر يتكئ في عدة نصوص شعرية على قصة يوسف –عليه السلام– وإن كان يستحضرها بطريقة تختلف عن النّص الأصل"القرآن الكريم" وتقترب من الطريقة الساخرة لنقل الواقع المزيف والمملوء بالأكاذيب، يقول في قصيدة "الخرجة.. الأولى..!؟!

كَظَمْتُ غَيْظَ رِيَـاحِـي عِنْدَمـا انْغَلَقَتْ أَبْوَابُهـا.. وتَحَدَّتْنِـي شَظَايَـاهَـا[21]

وفي قصيدة أخرى بعنوان "ما أنقى مراياها...!؟! يقول:

كَانَتْ تُـرَاوِدُنِي ظَمْـأى..وَيَسْكُنهَـا حُبُّـي..وتَّسْحَرُنِـي أَعْطَـافُ نَجـوَاهَـا
وتَدَّعِـي أَنَّنـي كَفُّ الضُّحَى أَبَـدا وَأَنَّنِـي رَغْمَ مَا فِيْهَـا ..حَنَـايَـاهَـا
كَـمْ أَوْهَمَتْنـي..ومَا أَدْرَكْتُ غَايَتَهـا يَوم اللِّقَاء..ولا اسْتَوعَبتُهَا فَاهـا..!؟![22]

إنّ الشاعر يتحايل على الألفاظ حتى يكسب التّناص نوعا من المرونة، فيحور قصة يوسف–عليه السلام– وفق رؤية خاصة لتتعانق مع الواقع المتردي"الخيانة، الكذب، الغدر، الظلم، الخبث.." لأنّ قصته تروي ظلم الإخوة/العرب، وغدر الغرباء/الصهاينة، فبعد أن أمن يوسف –عليه السلام– على حياته، هاهو يتعرض إلى الظلم والخيانة في قصر انتشله من الضياع هذا الضياع ليس ببعيد عن ضياع اليهود حين لم يجدوا أرضا تؤويهم فكانت فلسطين أمنا وسلاما لهم، إلاّ أنهم كزوجة العزيز لم يقدروا الكنز الّذي بين أيديهم، فأحكموا غلق أبواب السجن على أصحاب الحق، ولكن هيهات أن يفلح الظالم، وقد جاء في القرآن الكريم ما يبين هذه الواقعة التي تناص معها الشاعر يقول تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هِيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّيَ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)[23] وهو تناص غير مباشر مع الآية الكريمة فمعنى الآية تكرّر في الأبيات كلّ مرة بأسلوب جديد ومختلف عن سابقه مع وجود

كلمات دلّت على الاقتباس المعنوي، وهى (راودت، أبواب، انغلقت أبوابها، تراودني) وكلّها إشارات تدلّ على الاقتباس اللفظي من الآية الكريمة.

ومهما كانت الظروف المحيطة بالقضية فإن الشاعر يظل مؤمنا بالأمل، فالخلاص حتما آتٍ، مهما تجبر وتسلط الطغاة على الضعفاء، ومهما زيفوا الحقائق وتشدقوا بالسلام.

2-2-عام الفيل فاتحة للانتصار:

يستحضر الشاعر قصة ترويها الأجيال ولا ينساها التّاريخ أبدا؛ وهي حماية الله لبيته الحرام بأضعف خلقه"طير أبابيل" من أطغى قوة استهدفت الكعبة الشريفة، ولكن الشاعر يطرح على المتلقي ذلك بأسلوب ملؤه الاستغراب والتعجب؛ ليحدث اهتزازا في مشاعرهم- العرب والمسلمين- وحتى يتنبهوا إلى انتكاساتهم واغتصاب قبلتهم الأولى، يقول ابن الشاطئ:

واتْــرُكْ نَزِيفِـي.. وحَاذِر أنْ تُــلَوِّثَه يَوْما، فَكَمْ حَضَرتْ (أوفى) ومَا حَضَروا
أُغْــرُبْ بَعِيْدا طَوِيْلَ العُمْـرِ مُختَزِنـــا زَيْفَ الشِّعَارَاتِ، (عَامُ الفِيْل) مُقْتَدِرُ..!![24]

فالمتمعن في هذه الأبيات يلاحظ تخاذل الأمّة العربية على حماية الأقصى ثالث الحرمين تماما كما فعل العرب يوم تركوا الكعبة الشريفة دون حماية حين أراد أبرهة الحبشي هدمها، وهو ما يعرف بعام الفيل، فالشاعر يدرك أن الّذي حمى ونصر الكعبة يومها قادر أن يحمي وينصر الأقصى اليوم قال تعالى (اَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ(1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ(2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ(3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ(4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّاكُولٍ(5))[25] فابن الشاطئ ينتظر النّصر القريب من عند الله جلّ جلاله، لا من الحكام العرب –طويل العمر–الذين زادوا في تخاذلهم للقضية واكتفوا برفع شعارات واهية، كما نجده يسخر من جموعهم التي لا طائل منها؛ فالمؤتمرات والقمم العربية التي تعقد لا تتجاوز حدّ الكلام الفارغ والشعار الموالي لقوى الشر العالمية، إلاّ أنّه يعزي نفسه بأمّ أوفي/الرمز الحاضرة دوما إلى جانبه كمثال صادق في الوفاء وضارب في التجذر العربي للعزة والإباء، وهذا الاستحضار لعام الفيل في البيت الشعري دعم المعاني العميقة التي أراد الشاعر إيصالها إلى المتلقّي فزادت البيت رونقا وجمالا.

ولا يقف الشاعر في تناصه مع هذه السورة في هذا النّص الشعري فحسب بل نجده يتناص معها في موضع آخر من الدّيوان في قصيدته المعنونة ب"سَيْفٌ...مُسْتَحِيلٌ...؟!؟" يقول:

لا تَعِيْبِـي..طَيْـر الأبَـابِيْـل أَذْكَـى نَفْـسُ الأرْضِ..والصّبَـاحُ قَرِيـبُ..!![26]

وفي هذا البيت يقتبس من الآيتين الكريمتين (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ)[27] وكذلك مع قوله تعالى: (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُبْحُ بِقَرِيبٍ)[28] وبهذا يستبشر ابن الشاطئ بطير أبابيل الّذي انتصر على فيلة أبرهة الحبشي وجيشه، كما أنّه يعتبر أرض فلسطين تمتد وتلتقي بالأرض التي أرسلت إليها طير الأبابيل وتماثلها قداسة؛ فهي القبلة الأولى لعبادة الله في أرضه وحتما سيمدها الله بنصر قريب، فنلمح الشاعر ينتظر النّصر من رب فلسطين فعام الفيل يمكنه أن يتكرر مادام أصحاب الفيل/الصهاينة موجودون على الأرض المباركة.

2-3-شرر الحرية ينبعث من الإسراء:

كما أنّنا نجدّ ابن الشاطئ يتناص مع سورة الإسراء حتّى يدعم بها قضيته فالأقصى مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم وثالث الحرمين وهي عزيزة على كلّ مسلم ومسلمة وقد تناص معها في ثلاث مواضع في الدّيوان وهى:

والمِسْجِـــدُ الأَقْصـــى يُكَبِّـــــرُ رُغْـمَ أَنْـفِ المسْتَحِيْـــــــل[29]

ويقول في موضع آخر من الدّيوان:

مُجسَّد فِيكِ..هَلْ يَعْنِيكِ مـا الخَبـر..؟؟ يَا أمَّ أَوْفـى..لَقَد أَسْـرى بِنَـا الشَـرَر[30]

وفي موضع آخر يقول:

وَأَنَّنَـــا لُغَـــةُ الإسْـــراء تَرْشُمُهـــا الله أَكْبر فِـي الأَقْصـــى وتَنْطَلِـــقُ..؟؟[31]

ففي هذه المواضع تبدو لنا ظلال سورة الإسراء واضحة، فالله سبحانه وتعالى الّذي خفف على نبيه الكريم برحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى قادر على انتزاع الأقصى من يد المغتصبين، قال تعالى: (سُبْحَانَ الذِي أَسْرِي بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن آياتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[32] وقد مثّل هذا الاقتباس امتداداً دلالياً بين النّص القرآني من جهة، والنّص الشعري من جهة أخرى، لما يحمل من شحنات إيجابية تدعم القضية في الوطن العربي والإسلامي، وأراد الشاعر من هذا الاستحضار أن يدغدغ مسامع المسلمين بالنّص القرآني ليذكرهم بالقرابة الروحية التي تربط المسلم في كل بقاع العالم بهذه الأرض المقدّسة التي تتعرض للتهديد من قبل اليهود، وهذا الخطر لا يتوقف عند النّيل من حدود المسجد الأقصى وانتزاعه من أيدي المسلمين فقط، بل يستمر ليشمل حلم اليهود في السيطرة على المسجد الحرام والحجاز، وقد استدعى ابن الشاطئ قصة الإسراء لشحن الهمم، وليعلّم

الجبابرة/الصهاينة أنّهم وإن هجّروا أبناء الوطن فإنّ أرواحهم تسري كل يوم لتعانق تراب الأقصى، كما نلفيه يستدعي الإسراء ليخفف/ليروح على نفسه آلام البعد والفراق، خصوصا إذا علمنا أن الشاعر قد نُفي من وطنه فلا مجال للقاء إلاّ عن طريق الإسراء، وقد سماه بإسراء الشرر أي: عبور الغضب والانتفاضة التي يطمح إليها كل مغترب عن فلسطين طامح في العودة. وكانت الأبيات الثلاثة تحمل نبرة التحدي والصمود والجهاد، وفي نفس الوقت الفخر والاعتزاز بتشريف الأقصى بذكره في القرآن، فالمقاومة الفلسطينية تستمد قوتها من ليلة الإسراء وشعارها الله أكبر.

وانطلاقاً مما سبق، "كان القرآن ولا يزال باعثاً على حركة فكرية ولغوية وشعرية ناشطة تمثل ركناً ركيناً في الثقافة العربية الإسلامية، إذا أصبح مادة للدرس اللّغويّ والشعري والثقافي والاجتماعي والديني والعلمي، ومجالات المعرفة المختلفة"[33] فالثقافة العربية الإسلامية تستمد بقاءها واستمراريتها من القرآن الكريم الّذي كان ومازال الباعث لكل الحركات الفكرية واللّغوية والشعرية فهو المادة الأساسية لمختلف مجالات المعرفة، والإبداع الأدبي شعره ونثره يستدعي حضور آيات وقصص وشخصيات القرآن الكريم بطرق مبتكرة ومتنوعة تؤدي إلى دلالات عميقة وموحية في كل استدعاء، وهو ما يضمن انفتاحها على القراءة المتجددة لاستنباط المعاني الحقيقية، وذلك بربطها بالواقع (النّص الحاضر) وبالقرآن الكريم (النص الغائب).

ثانيا–التّناص مع الأحاديث النبوية الشريفة:

يأتي الحديث النبوي الشريف في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث إشراقُ العبارة وفصاحة اللّفظ وبلاغة القول، وقد أدرك الشعراء المعاصرون أهمية الحديث النبوي الشريف فنّياً وفكرياً وجمالياً فراحوا يستحضرونه في نصوصهم، وينهلون منه حسب ما يتماشى مع تجاربهم الشعرية، وديوان "أبجدية المنفى والبندقية" استدعى الأحاديث النبوية الشريفة ليخلق منها دلالات خطابية مغايرة تتماشى مع السياق الجديد، وليجعل منها فضاء مزدوجا يحفّز الذّاكرة ويبعث بالنتاج الجديد إلى أفق القراءة والتأويل.

إنّ قدرة الشاعر على استخدام اللّغة الشعرية في مختلف الظواهر الثقافية جعلته قادراً على استلهام المعاني الدينية الّتي تخدم فكرته من الأحاديث النبوية فيُضمن قصائده بها ويدعم بها سياقه الشعري، ولعلّ هذه الخاصية تنتشر أكثر عند أصحاب الثقافة الدّينية في البيئة المحافظة فهي تساهم بقدر كبير في تكوين شاعريته وتوجيهه الدّيني، ولعلّ كثرة التناص مع الأحاديث النبوية

والقرآن الكريم يشير إلى قدرتهما على تكثيف المعنى وإثراء الدّلالة في بضع كلمات وكذا إضفاء جمالية على النّصوص الشعرية فكان "انفتاح القصيدة على الموروث بمختلف أشكاله يعطيها قوة حضور وخلود فهي مصدر من مصادر صيانة التراث والحفاظ عليه في الوقت الّذي يعطيها التراث وسيلة شرعية يمكن من خلالها الوصول إلى مرحلة الإبداع، ومن ثم الخلود"[34] فانفتاح القصيدة المعاصرة على مختلف أشكال الموروث يضفي عليها سمة البقاء والاستمرارية لاحتوائها على التّداخل مع النّصوص التراثية الّتي تضمن لها الصيانة والشرعية بفضل استلهامها واستنباطها من معينه الّذي يؤدي إلى الإبداع والخلود.

1- منابع الضوء؛ الطريق إلى الحرية:

يلتمس المتلقّي البصير/ الحذق من خلال الأبيات الموالية عمق المأساة الواقعية، التي يتخبط فيها الفلسطيني مع المحتل الغاصب الذي لم يدخر أي وسيلة للقضاء على المقاومة، وقد سخر الشاعر قلمه لفضح مؤامرات العدو وكشف خططه اللئيمة، فكان شعره منبعا من منابع الأمل والتفاؤل المؤدي حتما إلى الحرية يقول:

أَكْسِـرُ الطُّـوْق نـاسِفـا كُـلّ جُحْـر جنَّـدتْـهُ (المـوسـاد) في عُقْـر دَارِي
لَـمْ أَغِبْ لحْظـة عَـنْ الحَجَـر الضـو....ء ولا عَـنْ رُجُـولَـة الثّـوار
إنَّنِـي أَعْـرفُ الطَرِيـقَ المعَـافـى فَمِـنَ القُـدْس دَائِمـا مِشْـوارِي..!![35]

تعكس هذه الأبيات خطر الصهاينة من خلال جهاز الاستخبارات (الموساد) الّذي ينتشر عبر أنحاء فلسطين والعالم العربي والغربي لإدارة شبكة التجسس وزرع العملاء عن طريق تجنيد المندوبين في كافة الأقطار، كما يسعى إلى التفريق بين أبناء الوطن ودّس الضعف والوهن في إيمانهم بالمقاومة والحرية، خصوصا وأنّ هذا الجهاز سليل اليهود وهم معروفون بالمكر والخداع والخبث والدّهاء في التآمر والإيقاع بين أبناء الوطن، وقد وفق الشاعر في تناصه مع الحديث الشريف الّذي يعكس واقع العرب/فلسطين بإتباعهم لليهود الذين لم يدخروا جهدا لإبعادهم عن دينهم ووطنهم المسلوب، فعن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وذِرَاعاً بِذِرَاع حَتى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍ لاَتَبَعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يا رسول الله اليَهُود والنَّصَارى قَال: فَمَنْ؟"[36] وهو تناص غير مباشر عدا لفظة جحر التي دلّت على الحديث، ولأنّ الأحاديث النبوية "كانت في البداية تظهر ظهوراً مباشراً هدفه النّصح والإرشاد، أو أخذ العبرة

لكنها بعد حين صارت متداخلة بالنّص الشعري تداخل السدى واللحمة، حتى يصعب فصلها كما يصعب تبيّنها، وخاصة عند غياب الإحالة والتنصيص"[37] فتغيرت النظرة إلى الحديث النبوي الشريف بعد أن كانت مقتصرة على النّصح والإرشاد من طرف الشعراء وأصبحوا يستدعون المعاني والألفاظ لتدعيم رؤاهم والوقوف على الواقع بالاتكاء على الموروث الدّيني، والشاعر من خلال هذا الحديث مصمم على تحدي العدو بتهديم حصاره الّذي يطوّق أعناق الشعب في عقر دارهم حتى يُواري الحقيقة ويطمسها، وهو مصر على كشف مخططاته لاسيما وأنّه يعرف الطّريق الّذي يؤدى إلى القدس مباشرة وهو تبنى الجهاد كحل جذري لما يحدث في فلسطين.

ومعنى الحديث "السنن هو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم"[38]وهو حال زعماء وحكام العرب اليوم فهم يخفضون رؤوسهم سمعا وطاعة لمراسيم وانتهاكات إسرائيل في فلسطين، إلاّ أنّ الشاعر واثق من معرفة الطرق الآمنة التي تقف في وجههم وتنزع اللّثام عنهم، فوظف هذا الحديث حتى ينبه إلى الزيف والمغالطات التّي يسعى إليها بنو صهيون لتضليل الرأي العام عن طريق حركة الموساد وما تخطط إليه، ورغم كل المساعي التي تبذلها إسرائيل فإنّها ستفشل حتما مادام هناك بصيص من الضوء/الأمل المنبعث من الحجارة في أيدي المناضلين الصغار والكبار، والنساء والرجال، وكذلك مقاومة الثوار في كل ربوع فلسطين، وقد أضاف هذا التناص إلى الأبيات الشعرية البعد الإيحائي العميق وزاده رونقاً وجمالا.

2-قناع الخيانة؛ النفاق:

اعتمد الشاعر في جلّ قصائده على التلميح والترميز والقناع لينقل دلالات الواقع العربي، وإن كان لا يمرر إلا الشيء اليسير من الإضاءة التي تعكس نص ابن الشاطئ الغائب، والمتمثل في تخلي العرب عن القضية الفلسطينية، ولا عجب أن يستحضر صفات اليهود/ الصهاينة وأهمها المكر، الخداع، المراوغة... ويسقطها على الأحداث الجارية في أرض فلسطين وبخاصة علاقة زعماء العرب بالقضية الفلسطينية، وقد نقل هذه المعاني بأسلوب ملؤه التعجب والاستغراب والتحسّر على الحاضر الّذي غدا مثالا للاستسلام والخنوع والانكسار، والشّاعر يطرح ذلك مستحضرا الأحاديث الشريفة التي تكشف زيف ونفاق المناصرين/ الحكام العرب، يقول:

يَسْتَنْزِفُون الضُّحى فِيْنَا عَلانِية ويَحرِصُون على بعض التّماثِيل..!؟!
ويَظْهَـرُون عَلَيْنَـا سُجَّـدا غُبْـرا وفـي عِبَـاءاتِهِـمْ غِيْلَتْ شَعَالِيلـي

نسوْا مُنازلتي الكبرى..أما علِمُوا أنّا كسرْنا حُدُودَ القَال والقِيل..؟؟
لا تَيْأسِي مِنْ مُعَانَاتِي لقد سطعت
شَمْسُ الجَلِيلِ..ووافَتْنِي قَنَادِيلي..!![39]

ويقول في موضع آخر:

واحْتَـرفْتِ النِّفَـاقَ شَكْـلاً ومَعْنـى وتمَـادَتْ ريَـاحُكِ الهَـوْجَـاءُ..!![40]

ويقول في موضع آخر:

أمَّا نَصَحْتُـكِ..أَلاَّ تَنْتَشِـي طَرَبـا بَيْنَ الثَّعـابِين..؟هذَا الحُبُّ مُخْتَلَـقُ
عَلى مَـلامحهـم بِشْـرٌ..ودَاخِلُهُـمْ حِقْـدٌ..فَلاَ مَبْدأٌ بَـاقٍ ولاَ خُلُـقُ
الطَّيِّبُـون و أَيْـمُ الله قَـدْ ذَهَبـتْ رياحُهُمْ..وتَجَلَّتْ رِيحُ منْ أَبِقُـوا..!![41]

والأبيات السابقة تحمل تناصا مباشرا وغير مباشر وكلها تدلّ على المنافقين وصفاتهم فعن عبد الله بن عمر قال: قال: رسول صلى الله عليه وسلم "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خلة مِنْهُنَ كَانَتْ فِيه خلة مِنَ النِفَاق حتى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"[42] بمعنى أن هذه " الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه"[43] وقد جعلهم الرسول الكريم أشرّ خلق الله فعن أبي هريرة أن رسول الله قال: "إِنَّ مِنْ شرِّ النَّاس ذَا الوَجْهَيْنِ الّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ"[44] وابن الشاطئ يدرك مدى استطاعة حكام العرب تمثيل هذا الدّور على الشعوب العربية فهم يحترفون الزيف والتضليل أو بالأحرى النفاق، يظهرون للرعية/ للعالم على أنّهم نساك راهبون وزاهدون يواجهون نفس مصائر شعوبهم، غير أنّ الوجه الحقيقي لهم يكشف عن خبث سرائرهم (الثعابين، ملامحهم بشر، وداخلهم حقد) فاستدعى أحاديث النفاق التي وردت للبحث عن حقائق طمسها أعداء فلسطين، معتمدا على آلية الاستشهاد في جعل الحقيقة تتكلّم للإقناع بفكرة تواطأ بعض العرب مع إسرائيل على القضية الفلسطينية، وتخليهم عن القومية العربية، حتى أننا نجد الشاعر في آخر الأبيات متشائما حين ذكر أنّ الطيّبين قد رحلوا من عالمنا وغابت عنّا ريحهم الزكية وبقيت فقط ريح خبائث النفوس، إنّه في هذه الأبيات يحاول إظهار حقيقة المتآمرين على القضية مع العدّو، فإذا كان هذا الأخير معلوم ومعروف فإنّه مقدور عليه، ولكنّ المشكلة تكمن في عدم معرفة العدو واتخاذه صديقا وهو يبطن

الدناءة والوضاعة، لقد دعم ابن الشاطئ ذلك باقتباسه المعاني والألفاظ من الأحاديث النبوية والتّي تبرز خبث المنافق ووضاعة قدره، وقد أضفى هذا الاقتباس على الأبيات الشعرية جمالية كما ساعد المتلقي في الكشف عن الأبعاد الإيحائية الباطنية.

3-انفتاح الشعر المقاومة على الشهادة:

إنّ ما تمر به فلسطين جعل الشاعر ينفتح على دلالات الشهادة ليسخرها كقوة تستنهض همم المجاهدين للتسامي بالنفس إلى النصر أو الشهادة، واستدعى الشاعر ألفاظ الحديث النبوي الشريف ليجعل من الشهادة سبيلا إلى الحرية والتحرر وعدم الانحناء للآخر، يقول:

وأَذَانُ الضُّحى..غَويّا و"أَفْتَى" فَالشَّهِيدَ الحَبِيبُ محْضُ انْتِحَارِي..!!
غَابَ عَنْهُ أنَّ الجِهادَ المعَافَى شَرفُ المجْدِ والنَّدى والفَخَّارِ[45]

وفي موضع آخر من الديوان يقول:

وانْتَفَضْنَا وكَانَ حُبُّك دوْما فَرْضُ عَيْن عَلى رُؤُوس الحِراب..!!
كُلّمَا عَانَقَ الخُلُود شَهيدٌ أَزْهر الشَّوق فِي شُمُوخِ احْتِسَابي[46]

ونجده في موضع آخر يقول:

وإذَا الشَّهَادة عُرْسُهُ وطُمُوحُهُ الوطنُ الكَبِيرُ
وإذا النَخِيل الكِبريَا.....ءعلى أَسِنَّتِه حُضُورُ..!![47]

ويقول في موضع آخر:

"الله أكْبرْ"لاَ يَغِلّ سُيُوفَها أحَدٌ..وتَسْكُنني يَدا وحُداء
وتَفِيء إحدى الحُسينين بِظلِّها وأظَلّ في خَلَجَاتهَا الزَهْراء
الله أكْبرْ قَامَتي..أعرفْتَني أعَرفْتَ كَيْفَ أُجَاهِدُ الأَهْواء..؟؟[48]

إنّ الأبيات السابقة تدّل دلالة صريحة على الجهاد وشرف الشهادة وقد تناص فيها ابن الشاطئ مع الأحاديث النبوية الشريفة التي تدعو إلى الجهاد وتبرز منزلة الشهيد الكبيرة عند الله عزّ وجل وعند النّاس فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله"يَضْمَنُ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيْلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ إلاّ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وإِيمَانًا بِي وتَصْدِيْقًا بِرُسُلِي فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَه الجَنَّة أَوْ أُرْجِعَهُ إِلى مَسْكَنِه الّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيْمَةٍ"[49] فإذا كان الله عزّ وجل قد ضمن

للمجاهد الجنة فكيف له أن لا يُقْبِلَ عليها وإن كان هذا الإقبال على الشهادة في نظر المحتل انتحارا.

لقد كان شعار كل مجاهد"الله أكبر" لأنّه يسعى إلى الجنة أولا وإلى تحرير بلاده من أيدي المغتصبين ثانيا، والشهادة هي طموح كل مسلم يُناضل من أجل الحق وإعلاء كلمة الله فكان الجهاد سبيلا إلى ذلك، وشتان بين الانتحار والشهادة فالأول قانط من امتحان الله له في الدنيا فظلم نفسه بفعله المشين وهو طالب دنيا لا دين، والثاني مطيع لأمر الله مقبل على الآخرة في سبيل الله وأجره عظيم فعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَابَيْنَ نَفْسٍ تَموتُ لها عِنْدَ الله خَيْر يَسُرُها أَنَّها تَرْجِعُ إلى الدُّنْيَا، ولاَ أَنّ لهَا الدُّنيا ومَا فِيها إلاّ الشَهِيْدُ فَإِنَّه يَتَمَنَى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ فِي الدُّنيا لما يَرى مِنْ فَضْلِ الشَهَادَةِ"[50] وهذا الحديث يُظهر فضل الشهادة ويقرّ بوقعها على نفوس المحاربين في سبيل الله والوطن مردّدين الآية الكريمة قال تعالى: (هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى اَلْحُسْنَيَيْنِ)[51] فشعارهم إما نصرٌ وإما شهادة.

خاتمة:

لقد أصبحت النّصوص الشعرية عامرة بحضور النّصوص الإبداعية على اختلاف أزمنتها وتعددها؛ وذلك عن طريق استدعاء النصوص القديمة منها والمعاصرة، لإثراء الدّلالة وتعميقها في النّص الجديد وهو حتما ما يضمن انفتاحه وتعدد قراءته، وقد سعى ابن الشاطئ من خلال ديوانه "أبجدية المنفى والبندقية" إلى تجسيد آلية التناص بكل أشكالها-الأسطورة، التاريخ، الموروث الشعري، الدّين...- لأنّها خير معبر عن المأساة الفلسطينية، وما يلفت الانتباه في الديوان المدروس هو اهتمام الشاعر بالتّناص الدّيني الذي ينفتح على قضايا الانتماء والتحدي/الجهاد، فكان الملجأ الوحيد والمثالي الذي اتكأ عليه الشاعر الفلسطيني لاستنطاق واقع القضية الفلسطينية عن طريق الاغتراف من المعين الدّيني والالتجاء إلى الجانب الروحي، فلا نكاد نلمس نصا من نصوصه الشعرية إلاّ ووجدناه يقتبس آية أو يضمن حديثا نبويا سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كل ذلك من أجل إشراك المتلقي في إنتاج الدّلالة وتفعيل التأويل.ومن خلال ما تقدم يمكن أن نلخص أهم ما توصّل إليه البحث من النّتائج فيما يلي:

- التناص كظاهرة تتكرر في النّص الشعري المعاصر منحه البعد الدّلالي والتأويلي؛ فالتناص ينفتح على القراءات الجديدة والتأويلات المتعددة.

-تختلف النظرة لمفهوم التناص من باحث لآخر وتتعدد غير أنّ ما يلفت الانتباه لظاهرة التناص هو انشغال الشعراء به وجعله خصيصة من خصائص الشعر المعاصر الّذي يثري بها نصه عن طريق تعدد وتنوع مشارب التّناصات التراثية والدّينية والإنسانية بصفة عامة حتى يضفي على نصوصه الإبداعية القيمة الجماليّة والفنيّة، وحتى يثبت غزارة مخزونه الثقافي.

-اهتم ابن الشاطئ بالتّناص الدّيني لما يحمل من قضايا تخص الانتماء والوحدة أملا في خروج الذات الفلسطينية من مأزقها.

-استطاع الشاعر أن يعيد صياغة ما استوحاه من النصوص الدّينية (القرآن الكريم، الأحاديث النبوية الشريفة) وأن يدخله في نصه ببراعة وهو ما منح التجربة الشعرية ثراء وتجددا.

-يستحضر الشاعر التّناص الدّيني بطرق متنوعة إما باستحضار المعاني أو الألفاظ أو القصص الدّينية ويجعلها في سياق نصه الشعري، وهدفه من ذلك إضافة نوعية لما يريد إيصاله من خلال موضوعه وهذا ما يزيد النّص ثراء وقوة، وترابطا ويعزّز الفكرة الّتي يطرحها ضمن سياق قصائده.

-اتكأ ابن الشاطئ على هذه الظاهرة لتكثيف تجربته الشعرية وشحنها بالدّلالات العميقة ولإشراك المتلقي في إنتاج دلالات النّص عن طريق استنطاق التناصات الموظفة فيه.

-إن القارئ لديوان أبجدية المنفى والبندقية لابن الشاطئ يمكنّه أن يستخلص بوضوح حرص الشاعر على توظيف التراث الدّيني في شعره؛ فالنّصوص القرآنية المختزلة، والمعاني المستوحاة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة كثيرة، والإيحاءات المتعددة تستدعي حضور متلقٍّ واع بالمعارف الراهنة ليستنطق عوالم النّص الشعري.

-يستوقف التناص المتلقي للفهم والتأويل بفضل التكثيف الدّلالي المشبع بالامتصاصات التي تزيده قوة ووضوحا وانفتاحا لبلوغ الغائية التي يطمح النّص الوصول إليها.

هوامش:

[1]- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (المغرب)، ط3، 1992م، ص125.

[2]- أحمد الزعبي: التناص نظرياً وتطبيقياً مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص في رواية رؤيا لهاشم غرايبه وقصيدة راية القلب لإبراهيم نصر الله، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع،(الأردن)،ط2، 2000م، ص19.

[3]- عبد الله محمد الغذامي: ثقافة الأسئلة -مقالات في النقد والنظرية-، دار سعاد الصباح، (الكويت)، ط2، 1993م، ص111.

[4]- ينظر: المرجع نفسه: ص111.

[5]- جيرار جينيت: طروس الأدب على الأدب، أفاق التناصية مجموعة من المؤلفين: أفاق التناصية المفهوم والمنظور: تر: محمد خير البقاعي، جداول للنشر والتوزيع، (لبنان)، ط1، 2013م، ص160.

[6]- المرجع نفسه: ص 161.

[7]- عزيز حسين على الموسوي: النص المفتوح في النقد العربي الحديث، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، (عمان)، ط1، 2015م، ص169.

[8]- نبيل على حسنين: التناص دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض جرير والفرزدق والأخطل،كنوز للمعرفة، (عمان)، ط1، 2010م، ص215.

[9]- عاصم حفظ الله حسين واصل: التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر -أحمد العوضي أنموذجا-، دار غيداء للنشر والتوزيع، (عمان)، ط1، 2011م، ص77.

[10]- أدونيس: الشعرية العربية، دار الأداب، (بيروت)، ط1، 1985م، ص35.

[11]- حصة عبد الله سعد البادي: التناص في الشعر العربي الحديث -البرغوثي نموذجاً- دار كنوز المعرفة، (عمان)، ط1، 2009م.ص41.

[12]- ابن الشاطئ: أبجدية المنفى والبندقية، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، (الجزائر)، ط1، 2004م، ص26.

[13]- المصدر نفسه: ص36.

[14]- المصدر نفسه: ص67.

[15]- المصدر نفسه: ص87.

[16]- المصدر نفسه: ص253.

[17]-القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع، دار الإمام مالك للطباعة والنشر والتوزيع، (الجزائر) دط، 2012م، سورة الفتح: الآية01.

[18]- جلال الدين محمد أحمد المحلي، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي: تفسير القرآن العظيم تفسير الجلالين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (لبنان) ط1، 2005م، ص511.

[19]- المرجع نفسه: ص511.

[20]- ابن الشاطئ: أبجدية المنفى والبندقية، ص99.

[21]- المصدر نفسه: ص139.

[22]- المصدر نفسه: ص213.

[23]- سورة يوسف: الآية23.

[24]- ابن الشاطئ: أبجدية المنفى والبندقية، ص17.

[25]- سورة الفيل: الآية1-5.

[26]- ابن الشاطئ: أبجدية المنفى والبندقية، ص287.

[27]- سورة الفيل: الآية 03.

[28]- سورة هود: الآية 80.

[29]- ابن الشاطئ: أبجدية المنفى والبندقية، ص55.

[30]- المصدر نفسه: ص128.

[31]- المصدر نفسه:ص168.

[32]- سورة الإسراء: الآية 01.

[33]- حصة البادي: التناص في الشعر العربي الحديث-البرغوثى نموذجاً-: ص216.

[34]- نبيل على حسنين: التناص دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض جرير والفرزدق والأخطل، ص243.

[35]- ابن الشاطئ : أبجدية المنفى والبندقية، ص65.

[36]- أبي زكريا يحي بن شرف النووي:صحيح مسلم بشرح الإمام النَّووي، المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تح محمد بيومي، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة)، ط1، 2014م، ، م08، ج16، ص192/191.

[37]- حصة البادي: التناص في الشعر العربي الحديث-البرغوثى نموذجاً- ص46.

[38]- أبي زكريا يحي بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح الإمام النَّووي، م08،ج16، ص192/191.

[39]- ابن الشاطئ: أبجدية المنفى والبندقية، ص108.

[40]- المصدر نفسه: ص157.

[41]- المصدر نفسه: ص284.

[42]- أبي زكريا يحي بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح الإمام النَّووي، م01، ج02، ص43/42.

[43]- المرجع نفسه: م01، ج02، ص43.

[44]- المرجع نفسه: م08،ج16، ص135.

[45]- ابن الشاطئ: أبجدية المنفى البندقية، ص179.

[46]- المصدر نفسه: ص182.

[47]- المصدر نفسه: ص272.

[48]- المرجع نفسه: ص205.

[49]- أبي زكريا يحي بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح الإمام النَّووي، م07، ج13، ص21.
[50]- المرجع نفسه: م07، ج13، ص24.
[51]- سورة التوبة: الآية52.